تاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره

Nicolas Habibi¹, Milki Aan², Neldi Harianto³, Khairil Malik⁴

DOI: <https://doi.org/10.52593/klm.04.1.02>

Naskah diterima: 2022-12-16, direvisi: 2023-01-27, disetujui: 2023-01-30

Abstract

This research proved that Abu Al-Aswad Al-Du'ali is the first to think about putting the science of grammar in pushing the danger of melody from the Qur'anic text and language. After Abu al-Aswad, his disciples came and continued his way. Then their students came and followed the approach of their teacher, until grammar matured at the hands of Al-Khalil bin Ahmad, the author of the first grammar book that reached us. Thus, Al-Khalil was able to present Arabic as a structural model for describing Arabic phonetically, morphologically, grammatically and lexically. This science was spread until the twentieth century. There have been many attempts to facilitate at all levels, and I mention some examples of representation, but not limited to, as follows: Revival of grammar: by Ibrahim Mustafa; Critical Studies in Arabic Grammar: by Abdul Rahman Ayoub; Towards Facilitation: by Ahmed Abdul Sattar Al-Jawari; In Arabic grammar, criticism and guidance: by Mahdi Makhzoumi. The method of this research is the method of descriptive analytical to describe the emergence of grammar and to support this method the writer used the method of synchronous analysis and temporal analysis.

Keyword: grammar, inattentive, language

ملخص البحث

أثبتت هذا البحث بأن أبا الأسود الدؤلي هو أول من فكر وضع علم النحو في دفع خطر اللحن عن النص القرآني واللغة. وبعد أبي الأسود جاء تلاميذه وأكملوا طريقه. ثم أتى تلاميذهم ونهجوا نهج معلمهم، حتى نضج النحو على يد الخليل بن أحمد واضع

¹ Institut Agama Islam Negeri Kerinci, habibi.nicolas@gmail.com.

² Sekolah Tinggi Agama Islam Nurul Iman Parung, milki.44@gmail.com.

³ Universitas Jambi, neldi.harianto@unja.ac.id.

⁴ Institut Agama Islam Negeri Curup, khairilmalik@iaincurup.ac.id.

أول كتاب نحوي وصل إلينا. وبهذا استطاع الخليل أن يقدم العربية نموذجاً بنيوياً لوصف العربية صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً. وقد انتشر هذا العلم حتى قرن العشرين. وشهد الكثير من المحاولات التيسير على كافة المستويات وأذكر بعض الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك على النحو التالي: إحياء النحو: لآبراهيم مصطفى؛ دراسات نقدية في النحو العربي: لعبد الرحمن أيوب؛ نحو التيسير: لأحمد عبد الستار الجوّاري؛ في النحو العربي نقد وتوجيه: لمهدي المخزومي. وطريقة هذا البحث هو طريقة الوصفي التحليلي ليصف نشأة علم النحو ولدعم هذه الطريقة استعمل الكاتب طريقة التحليل التزامني والتحليل الزمني.

الكلمات المفتاحية: علم النحو، اللحن، اللغة

المقدمة

قد نظم الشعراء الجاهليون والإسلاميون الأوائل قصائدهم دون معرفة علم العروض وأحكامه، هكذا تكلم العرب لغة فصيحة دون أن يكون لهم علم بما يتصل بها من نحو وصرف، ذلك أن يكون معرفتهم للغة كانت قائمة على الفطرة والسليقة. هناك أسباب وضع النحو العربي لعدة بواعث منها الديني ومنها غير الديني، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. وغير أن اللحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلاً بل نادراً، كلما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتسع شيعه على الألسنة وخاصة بعد تعرب الشعوب المغلوبة التي كان تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية، مما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها كما فسح للحن وشيوعه (شوقي، 1982).

قد سجل التاريخ أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هجرية) هو أول من فكر في دفع خطر اللحن عن النص القرآني واللغة، وذلك بوضع النقط التي تدل على الضمة والفتحة والكسرة على أواخر الكلمات. ولكن بعض الشكك في نسبة علم النحو إليه في هذا الوقت المبكر في غيبة المادة اللغوية وغيبة العقل العلمي الذي يقوم على التحليل والتبويب والتصنيف.

وأما الروايات التي تنسب وضع علم النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، فمنها:

- ١ يقول أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: إن أبا الأسود الدؤلي هو أول من أسس العربية، ونهج سبلها ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم. (n.d., أبي بكر الزبيدي).
- ٢ ويوجز ياقوت القول في معجم الأدباء فيذكر في ترجمة أبي الأسود أن "الأكثر على أنه أول من وضع العربية ونقط المصحف" ويروي قصة زياد معه ثم يقول: وروي في وضع العربية غير ذلك.
- ٣ قال أبو القاسم الزجاجي عن أبي الأسود الدؤلي: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيتَه مطرقاً متفكراً، فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت بيلدكم هذا لحنا فأردت أن اصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا احببتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها -بسم الله الرحمن الرحيم- الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود: أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. (n.d., السيوطي).

قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكأن، ولم أذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم أحسب منها، فقال بل هي منها فزادها فيها. قول ابن سلام: أول من أسس العربية هو أبو الأسود الدؤلي. كما قال المبرد: أول وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود الدؤلي. (أبي بكر الزبيدي, .n.d)

٥ وقد تقف الروايات في الواضع الأول للنحو عند أبي الأسود، غير أنها تعود فتضطرب في السبب الذي جعله يرسمه وفي حاكم البصرة موطنه الذي بعثه على هذا الرسم والأبواب الأولى التي رسمها فيه، فمن قائل إنه سمع قارئاً يقرأ آية القرآن: "إن الله برئ من المشركين ورسوله" (التوبة: ٢) بكسر اللام في "رسوله"، وقيل: بل وفد على زياد، فقال له: إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن اضع للعرب كلاماً يعرفون أو يقيمون به كلامهم. (شوقي, ١٩٨٢)

٦ وقيل: أن رجلاً لحن أمام زياد أو أمام ابنه عبيد الله، فطلب زياد أو ابنه منه أن يرسم للناس العربية. وقيل إنه رسمها حين سمع ابنته تقول: ما أحسن السماء وهي لا تريد الاستفهام وإنما تريد التعجب، فقال لها قولي: ما أحسن السماء. (ابن خلكان, .n.d)

وهناك أيضاً رواية تاريخية إلى أن أول من اهتم بوضع علم النحو هو الإمام علي بن أبي طالب، كما قيل لأبي الأسود الدؤلي: من أين لك هذا العلم؟ يعنون النحو، فقال: لقيت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (ابن خلكان, .n.d)

ويمكن أن نقول إن هناك رأيان نحو واضع النحو، الرأي الذي يقول إن وضعه الإمام علي بن أبي طالب، والرأي الذي يقول إنه أبو الأسود الدؤلي كلاهما صحيح لأن وضع النحو لأبي الأسود الدؤلي بعد رضائي علي بن أبي طالب. إذا وضعنا وضعه الحقيقي

فنحن نرى أن الواضع الحقيقي هو أبو الأسود الدؤلي، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود الدؤلي قام بعمل من هذا النمط، وهو أنه ابتكر شكل المصحف. أن ما وضعه أبو الأسود الدؤلي من القواعد لم يكن لشد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة، فعمد إلى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل. (زيدان، ١٩٩٧)

وبعد أبي الأسود جاء تلاميذه أمثال عنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، ويحيى بن بعمر، فساروا على خطي معلمهم، وأكملوا طريقه. ثم أتى تلاميذهم ونهجوا نهج معلمهم، حتى نضج النحو على يد الخليل بن أحمد واضع أول كتاب نحوي وصل إلينا. (أميل بديع يعقوب ورميشال عاصي، n.d.) وبهذا استطاع الخليل أن يقدم العربية نموذجاً بنيوياً لوصف العربية صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً. وقد انتشر هذا البحث بعد أبي الأسود حتى القرن العشرين. ولذلك، أريد الكاتب أن يبحث عن تاريخ علم النحو وتطوره في هذه الكتابة.

نظرية البحث

أما السبب الرئيسي تاريخاً لوضع علم النحو فهو حفظ القرآن خشية من اللحن الذي يغير معانيه فوضع علم النحو ولكن كثير من الباحثين يتفقون أثر القدماء في رد أسباب وضع علم النحو العربي منها:

١. أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص القرآن الكريم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة.

٢. ومنهم من ذهب إلى أن الباعث إلى وضع النحو باعث قومي يرجع إلى أن اعتزاز العرب بلغتهم اعتزازاً شديداً، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا

- بالأعاجم، فحرصوا على رسم أوضاعها خوفا من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية.
٣. ويذكرون بواعث أخرى، كالباعث الاجتماعي، حيث إن الشعوب المستعربة أحسنت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.
٤. هناك باعث آخر وهو الباعث السياسي كما رآه تمام حسان العرب في عصر وضع النحو هو الغالب على مواطن أخرى التي اختلفت لغاتهم ويلزم على لغة الغالب أن تكون لغة غالبية فائقة على لغة المغلوب عليه وعلى طريقة غير مباشرة تصير اللغة المفعولة في المجتمع دال على من تسلطت. تصير لغة المتسلط لغة رسمية تستخدم في الشؤون الحكومية والتعليمية والقضائية وغيرها من الشؤون الرسمية.
٥. وزاد بعض الباحثين المعاصرين باعثا علميا هو رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمو أعدده للنهوض برصد الظواهر اللغوية والرسوم الأصول النحوية والصرفية، لها رسما تطرد فيه القواعد وتتنظم الأقيسة انتظاما يهيب لنشوء علم النحو. (شوقي، ١٩٨٢، pp. ١١-١٢) هذه عوامل متعددة على وضع النحو ورسم قواعده وأصوله، وأن هذه البواعث لا تتعارض فيما بينها، فهي كلها محتملة لا ينفي بعضها بعضا ولا يلغيه ولا يسقطه.
- أجمعت الروايات التاريخية على أن العرب قد أحسوا في منتصف القرن الأول الهجري بخطر يهدد لغتهم، وخاصة حين امتد هذا الخطر إلى النص القرآني، وذلك بسبب شيوع اللحن على ألسنة الأعاجم والموالي، ومنه إلى ألسنة أبناء العربية فكان اللحن سبب النظر في اللغة والبحث فيها عند العرب. (فريجة، n.d.).
- كان اللحن خطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو فهو عيب لساني ويقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو لاسيما الإعراب. كما يقوم

أيضا على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم. (أميل بديع يعقوب ورميشال عاصي, n.d., p. ١٠٦٢)

وأما اللحن وآثاره الشائنة كان بمثابة الدافع إلى انحراف السليقة وصيانتها من الوقوع في الخطأ، ويعد اللحن المحرك الفعال والرئيسي في نشأة التفكير في وضع علم النحو.

منهجية البحث

هذا البحث يسمى بالبحث المكتبي (*library research*) بطريقة التحليل الداخلي (*contens analisis*) (Muhadjir, 2000) هي التحليل العلمي عن تاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره. تتركز عمليات البحث على أساس البحث، يجمع به ما يلزم من البيانات أو المعلومات المتعلقة بالموضوع وبقراءة الكتب التي تبحث عن تاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره.

وطريقة هذا البحث هو طريقة الوصفي التحليلي ليصف تاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره ويشرحه سواء كان من المصدر الأساسي وهو الكتب التي تتعلق بتاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره أو من المصدر الثانوي وهو البيانات الزائدة المستمدة من الكتب والمجلات والمقالات. ولدعم هذه الطريقة استعمل الكاتب طريقة التحليل التزامني والتحليل الزمان.

العرض

نشأة النحو في عصر سيبويه

سيبويه هو عمرو بن قنبر من موالى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علبة بن جلد بن مالك بن أدد (أبي بكر الزبيدي, n.d.) وعاش عمرا قصيرا وتوفي ١٨٠ هـ على أقرب الروايات ومع ذلك فقد قدم للعربية أهم كتاب في تاريخها الطويل. عبده (n.d., p. 9), الراجحي

كان سيبويه ولد بالبيضاء (بلد فارس) من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ورغب في تعلم الحديث والفقه إلى أن لحقه التأنيب ذات يوم بشأن حديث شريف من شيخه حماد البصري قال ابن هشام: (وذلك أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء فصاح به حماد لحت يا سيبويه والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد ثم مضى ولزم الخليل وغيره). (الطنطاوي, ٢٠٠٠, p. ٤٧)

فكما أخذ عن الخليل أخذ عن يونس وعن عيسى بن عمر وغيرهم وبرع في النحو حتى بز أترابه فيه فاحتفى به علماء التي صار إمامها غير مدافع وأخرج للناس كتابه الذي أكسبه فخار الأبد فإنه شاهد صدق على علو كعبه في هذا الفن.

ومن الواضح أن سيبويه لم يكن له الفضل الأكبر في تأليف الكتاب بل أخذ معظمه عن أستاذه الخليل بن أحمد الفراهدي. وعامة الحكاية في سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهدي. فكلما قال سيبويه (سألته) أو قال (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل بن أحمد الفراهدي. (عبده الراجحي, n.d., p. ١٢)

لم يعهد الدرس النحوي مؤلفا قبل كتاب سيبويه فقد كان النحاة والعرب يطبقون قواعد النحو ويتدارسونها شفاهية أو في مؤلفات لم تتخصص في دراسة قواعد النحو بل ضمن دراسات لغوية أخرى ويعتبر كتاب سيبويه عمل حدثي بالنسبة للدرس النحوي في المضممار في حينه لأنه عمل غير مسبوق في منهجه ودرسه وإن وردت إشارات عن كتاب الجامع والاكمال لعيسى بن عمر ولكن أمثال هذه المؤلفات لم تصل إلينا. (الكريم, ٢٠٠٤, pp. ٣٣٢-٣٣٣)

لا يسع عند الحديث عن سيبويه نتاجه النحوي أو سيره بالتطور في النحو عما كان عند استاذه الخليل بن أحمد الفراهدي لأن الخليل شرع وفكر وأسس والفارسي نقل وسجل وأوصل وتابع واستنفذ وعليه نستطيع القول: (علامة, ١٩٩٣)

عمل سيبويه متمم لعمل الخليل بن أحمد الفراهدي وإن ظهر أتم من هذا العمل وأما قيمة التطور معه فهي كون (الكتاب) أول أثر نثري محيط بالمادة وصلنا؛ البناء النحوي قد استوى مع سيبويه كاملاً أو قريباً من الكمال؛ عمل سيبويه جاز بالنحو من الممارسات الضيقة مع المستجدات إلى تهيء بناء نحوي وهذا يسر التعامل مع علم محيط بالمادة؛ التطور مع سيبويه وعمله أن هذا العلم تمكن من استيعاب ما مر قبله من آراء مفاهيم نحوية عند البصريين؛ من التطور مع سيبويه استكمال نظرية التعليل التي بدأت مع الخليل في النحو والصرف؛ من التطور مع سيبويه استكمال نظرية العامل التي انطلقت مع الخليل وهذا دفعه إلى دعم القياس وتعميمه؛ من التطور معه عند عمله بالقياس تسجيله لما خالف قواعده التي بناها على الشائع المنتشر على ألسنة العرب؛ من التطور معه استكمال وضع المصطلحات النحوية التي بدأت مع الخليل؛ من التطور معه استكمال وضع الاحتمالات النحوية الأمر الذي حدا به إلى التوسع في وضع التمارين في النحو؛ من التطور معه (ظهور الكتاب) بعد الحاجة إليه والحاجة إلى كتاب جامع مانع لا تعني أنه ظهر من دون مقدمات بصورة مفاجئة لأنه ليس سوى نضع متأخر لآراء متقدمة ولمباحث قديمة؛ من التطور معه استيعاب الكتاب لما مر مما يسر للمتأخرين الاطلاع على مباحث الأقدمين التي نضجت مع الخليل.

ويقول أبو الطيب اللغوي فيه وفي كتابه : (هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو). ويقول السيرافي وعمل كتابه الذي يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده ويقول المبرد: لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وقال عنه صاعد بن أحمد الأندلسي: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها، اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بإجزاء ذلك الفن غير ثلاث كتب أحدها: المجسطى لبطليموس في علم هيئة

الأفلاق، والثاني: كتاب أرسططاليس في علم المنطق، والثالث: كتاب سيويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له. (شوقي، ١٩٨٢، pp. ٥٩-٦٠)

قد قدم سيويه العربية نموذجاً بنيويًا لوصف العربية وصرفياً ونحوياً لم يستطع أحد أن ينال منه أو يقدم بديلاً عنه وقال عبده الراجحي "وقد كان القدماء يضعون (الكتاب) في المحل الأول فقد قال أبو عثمان المازني: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيويه فليستح. وقال الجاحظ (أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيويه فلم وصلت إليه قلت له: لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال: والله ما أهديت لي شيئاً أحب إلي منه". (عبده الراجحي، n.d., pp. ١٢-١٣)

منذ ألف سيويه الكتاب ما فارقه النحو وما تخلف هو عنه بل يقيمان معا ويرحلان معا فطوف معه وانتقل من البصرة الى الكوفة ثم بغداد ثم الأندلس ومصر ويذكر أن الاندلسيين اليهود وغيرهم قد تأثروا بكتاب سيويه في إحياء قواعد اللغة العربية كما أن تشومسكي صاحب النظرية التوليدية التحويلية نوه إلى استفادته من كتاب سيويه. والأخر كمثل عامل ومعمول قال سيويه "وإنما ذكر (لك) ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب. (Luthfi, 2016, p. 102)

وقد توفر عدد كبير من العلماء القدامى على شرح (الكتاب) وتعليمه أشهرهم أبو سعيد السيرافي ثم المبرد وعلي بن سليمان الأخفش والرماني وابن السراج والزخشري وابن مضاء وغيرهم.

نشأة النحو في عصر ابن مضاء

ابن مضاء هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد حريث بن عاصم بن مضاء القرطبي (ت. ٥٩٢) ولد ونشأ في قرطبة في بين العلم، روي عن القاضي عياض قرأ على ابن الرماك في اشبيلية كتاب سيبويه وقرأ على الكثير من الكتب النحوية واللغوية والأدبية. كان عصره في العربية وله اعتناء وآراء في النحو ومذاهب مخالفة لأهله. (الأسعد, ١٩٩٢, p. ١٥٥)

في ظل دولة الموحدين في الأندلس دوّت الثورة التي فجرها ابن مضاء ضد النحاة في كتابه (الرد على النحاة) الصغير الحجم الكبير القيمة الذي أحدث أثرا في حركة تيسير النحو بعد حين وذلك في العصر الحديث استوحاه من المذهب الظاهري في الفقه. (الكريم, ٢٠٠٤, p. ١٥٨) بني ابن مضاء القرطبي كتابة على هدم نظرية العامل التي تمسك بها النحاة واقاموا عليها نحوهم العربي ولم يكن يدعو إلى هدم النحو وانما دعا إلى نهج جديد قائم على هدم نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثالث ورفض القياس واسقاط التمارين غير العلمية، فقالوا: إنه يدعو إلى نحو ظاهري. (الكريم, ٢٠٠٤, p. ١٥٨)

وكتاب الرد على النحاة قائم على هدم نظرية العامل فدعا بصراحة وجرأة إلى إلغاء نظرية العامل ليتخلص النحو من كل ما دخل عليه من تأويل الصيغة العربية، والبقاء على ظاهر النص ثم التخلص من الأقيسة الاحتمالية، والتمارين الافتراضية.

أما آراء ابن مضاء عن النحو فيبتدأ من نظر الزجاجي (ت. ٣٣٧ هـ) وابن جني (ت. ٣٢٠ هـ) بالإستمرار، وهما نحويان في القرن الرابع الهجري. وإلغاء العامل

وجعل الاعراب بالمعنى فقد اقتبسه ابن مضاء من ابن جني الذي عزا العمل للمتكلم أو نسميه بمصطلحنا العرف الاجتماعي اللغوي فإن ابن جني هو السابق كما يعترف بذلك ابن مضاء نفسه بقوله: "وقد صرح بخلاف ذلك ابن جني في خصائصه بعد الكلام في العوامل اللفظية والعوامل المعنوية: (وأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعامل من الرفع والمنصوب والجر والجزم إنما هو متكلم نفسه لا لشيء غيره) فزاد تأكيداً بقوله لا لشيء غيره". (جني, ١٩٥٢, pp. ٤٨-٤٩) وكان ابن جني في أول أمره صانع الحجّة بل بوصف معتدل يعترف ابن جني على أن العامل اللفظي والعمل المعني ليس حقيقياً.

وابن جني يؤكد هذا المعنى ويصرح به في أكثر من مقام، يقول مثلاً: (اعمل أن علل النحويين - وأعنى بذلك حداقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحملون على الحس ويحتجون فيه بنقل الحال وخفتها على النفس، (واهتمام ابن جني بالمعنى هو الذي حمله على هذا القول لأن) زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتها. فالمعنى هو المكرم المخدم واللفظ هو المبتذل الخادم ويؤكد ابن جني أن العربي يراعي المعنى ويسوق الكلام.

وقال ابن مضاء في كتابه الرد على النحاة "وقصدي من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحو عنه، وأنه على ما أجمعوا على الخطأ فيه". وبدأ بنظرية العوامل والمعمولات بيتغي أن تنقضها نقضاً، هي وكل ما جرت إليه من عوامل لفظية ومعنوية ومن معمولات مذكورة ومضمرة ومحذوفة. ولكي يدل على فساد تلك النظرية أورد ما ترتب عليها في الصيغة العربية من عوامل محذوفة إما لعلم المخاطب بها كما يقول النحاة في مثل (من جاء؟) فيقول (زيد) ويقدر أن أصل الجواب: جاء زيد. وإما لمجرد الاقتراض كتقدير النحاة في مثل (الكتاب قرأته) أن الكتاب مفعول به لفعل

محذوف، وأصل الجملة: (قرأت الكتاب قرأته) وإما لما هو أبعد من ذلك في الاقتراض والتخيل إذ يقدرون في مثل: (يا عبد الله) أن المنادى مفعول به لفعل محذوف والتقدير: (أدعو عبد الله) وهو اقتراض اشد عنتا من الاقتراض في الجملة السالفة. (ضيف, ١٩٨٦)

بوجهة النظر على العامل في النحو عند ابن مضاء هو النظرية الخيالية، وذلك لا يوجد في الواقع ويريد ابن مضاء في النحو الذي ينشأ في الواقع الظاهر ليس يجعل التأويل غير مهم. رد ابن مضاء على نظرية العامل يقوده إلى مذهب النحو الأكبر في القرن السادس ولو كان إرتفاع صوته صغير.

ويبين ابن مضاء فساد كل هذه التقديرات وما تجر إليه من زيادة ألفاظ على الذكر الحكيم حين يفترض النحاة في صيغة عوامل محذوفة ليس منه دون حجة أو دليل. وسرعان ما نقد من ذلك إلى إلغاء ما تصوره النحاة من متعلق للجار والمجرور حين يقعان أخبارا أو صلوات أو أحوالا في مثل (القلم على المكتب - رأيت من في الغرفة - التقيت بطالب في الفصل - قابلت عليا في الكاتبة) إذ يقدرون متعلقات محذوفة في الغرفة في هذه الجمل، وهي على الترتيب (مستقر - استقر - كائن - كائنا) ويقول ابن مضاء: إن هذان كله تمحل لأن الكلام تام بدونه ولا يحتاج إليه، نرفضه ونرفض معه نظرية العامل التي تمدنا بمثل هذه التقديرات الاقتراضية التي لا تمر بذهن المتكلم. ومتعلق الظرف كمتعلق الجر والمجرور في تصور هذه التقديرات المتخيلة، حين يقع خبرا أو صلة أو حالا في مثل: (الكتاب فوق الكتاب - رأيت ما عنده - أراني كتابا لديه - كلمت عليا أمام رفاقه).

وهاجم ابن مضاء أيضا العلل الثواني الثوالت وهي التي تسمى الواحدة منها علة العلة سؤال السائل لم رفع زيد ونصب عمرو في قولنا (ضرب زيد عمرا) فيقال: رفع زيد لأنه فاعل ونصب، (عمرا) لأنه مفعول به، وهانك بعد هذه العلة الأولى

العلة العلة الثانية والعلة الثالثة وهما اللتان رفضهما ابن مضاء، مثال العلة الثانية في مثالنا هذا: أن يقول السائل: ولم رفع الفاعل والنصب مفعول به ولم يرفعا معا وينصبا معا؟ فيقال له: الفرق بين الفاعل والمفعول، العلة الثالثة: أن يقول: ولم تعكس القضية فينصب الفاعل ويرفع المفعول؟ فيقال له لأن الفاعل قليل لأنه لا يكون للفعل في الصناعة إلا قليل واحد والمفعولات كثيرة في الصناعة، والقليل أضعف والكثير أقوى، فأعطى الأثقل الذي هو الرفع للفاعل الأقل الأضعف، وأعطى الأخف الذي هو النصب المفعول الأكثر الأقوى، ولذلك ليقبل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون، ولتتم المعادلة بين الفاعل والمفعول من جهة وبين النصب والرفع من جهة أخرى، والصواب أن يقال في جواب السؤالين عن هاتين العلتين، (كذا نطقت بها العرب) بدل أن تلتبس في الإجابة العلل الفلسفية النظرية. (الأسعد، ١٩٩٢، ١٥٧-١٥٨ pp.)

وهاجم ابن مضاء كذلك الأقيسة النحوية زما حشد منها في جميع أبواب النحو مما لا يفيد في النطق السليم العربية أية فائدة مما يبعد تصور النحو ويصعب فهمه.

كذلك هاجم الأمثلة الفرضية والتمارين غير العملية وهي الصيغ التي لم ينطق بها العرب أصلا ورأى أنها فضول ينبغي أن يحذف من النحو حتى لا يكون فيه عسر ولا صعوبة وذلك مثل قول الصرفيين (اين من البيع على مثل فعل) فإن من الممكن أن يقول شخص (بوع) محتاجا بأنه قد ضم ما قبل الياء الساكنة فأصبحت (بيع) ثم قلبت الياء واوا لتناسب الضمة قبلها أو بعبارة أخرى لانضمام ما قبلها والنطق بالياء بعد الضم ثقيل، وهو في هذا يقيس على (موقن) التي فعلها (أيقن) فالمفروض أن يقال (ميقن) لكن الياء قلبت لتناسب الضمة قبلها فأصبحت (موقن). ومن الممكن أن يقول شخص اخر بل هي (بيع) محتاجا بأن الجواب في الأصل (بيع) على وزن

فعل هو مطلوب، لم كسرت الباء بعد ذلك لتناسب الياء بعدها لان الياء من جنس الكسرة بل هي كسرة م مطولة فأصبحت (بيع) وقد قلبت ضمة (بيع) كسرة فأصبحت (بيع) قياسا على بعضوغيده فإن أصلهما بعض وغيده فكسرت الباء والغيرن فيهما لتناسب كل منهما الياء بعدها ويرى ابن مضاء اننا لا حجة لنا بكل هذا وانه تمرين فيما لا فائدة فيه، واي فائدة نفيدها من صيغة (بوع) أو صيغة (بيع) أو صيغة (بيع) التي لم تسمع العرب والتي لنا في حاجة إلى استعمالها يقول ابن مضاء : إن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة فكيف بهذا المظنون المستغاي عنه؟ توفي ابن مضاء بإشبيلية في سنة ٥٩٢. (الأسعد, ١٩٩٢, ١٥٧-١٥٨ pp.)
وواضح أن ثورة ابن مضاء على النحو مطولاته تفتح الأبواب على مصاريحها لتصفيته من شوائب التقديرات للعوامل والمعمولات والمضمرة والمحدوفة ومن شوائب التعليقات الثواني والثالث وشوائب الأقيسة والتمارين غير العملية. وبذلك مهم ابن مضاء لتخليص النحو من صعابه وتعقيداته، غير أن خالفه من النحاة في زمنه وبعد زمنه صموا آذانهم عن دعوته، وظلوا يؤلفون مطولاتهم النحوية الضحمة حاملة ما لا يكاد يحصى من مسائل النحو العويصة وعقده العسرة مما كان ينفق فيه النحاة المتمصون من الشباب وشيوخهم حياتهم باذلين كل ما يستطيعون من وقت وجهد في فهمها وإساعتها، لما استفر في عقولهم جميعا من أنهم يعيشون للنحو ويعيشون به، أما الناشئة فقد رأيت أئمة النحاة أن ييسروا لها النحو عن طريق ماوضعناه من وضع المختصرات والمتون.

نشأة النحو في القرن العشرين

لقد بذل الكثير من علماء اللغة العربية جهودا مضيئة مخلصه من أجل الدفاع عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهم موقنون بسمو هذا العمل وشرفه وأهميته،

ولقد نال الدرس النحوي الكثير من هذه المحاولات لما له من أهمية رائدة ومكانة أساسية في اللغة العربية، وفي الاسطر القادمة أذكر أهم المحاولات في القرن العشرين، والتي تهدف في المقام الأول إلى تيسير النحو وتجديده واصلاح ما أسابه من هنات أو قصور، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، وذلك على النحو التالي:

(١) إحياء النحو: لإبراهيم مصطفى في عام ١٩٣٧م

من المحاولات الجادة في القرن العشرين، وهي أول محاولة علمية منهجية لنقد النحو القديم، وتغيير هيكله ومصطلحاته، وقد حاول فيها إبراهيم مصطفى تجديد النحو وتيسيره، كي يتناسب مع مقتضيات العصر، فحدد مجموعة من أوجه القصور والتعقيد التي شابت الدرس النحو قديما كما يرى، وأخذ يفند هذه الأمور وينقضها مقدما عليها ما يراه حلا لها وفي هذه السطور أذكر فكرة موجزة حول اهم اراء محاولة (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى.

يرى إبراهيم مصطفى أن النحاة قد ضيقوا فقصوره على الإهتمام بأواخر الكلمات مع أنه كان أوسع من ذلك واعمق، فهو عنده (علم يعرف به أواخر الكلمة: إعرابا، وبناء... إلخ، ثم إنهم اهتموا ببيان الإعراب وعلله، فغايتته -عندهم- الإعراب وتفصيل الأحكام) ويرى أن النحاة قد أكبوا منذ ألف عام ويزيد على دراسة الإعراب وقواعده ولا يعدلون به شيئا، (وألغوا فيه المسائل الطوال وأكثروا من الجدل والمناقشة، في فلسفته، وتعليله، حتى تركوا نحو العربية، أوسع الأنحاء أسفارا تأليفا وفلسفة وجدالا، ولكن هذا الكلام ليس دقيقا، نعم اهتم النحاة بالإعراب اهتماما شديدا، مما جعل البعض يسمي علم النحو علم الإعراب، ولكن النحاة لم يحصروا الدرس النحو في قضية الإعراب فقط، فالنحو عندهم أشمل وأوسع فهو (صناعة علمية ينظر لها اصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب

استعمالهم، لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى في توصل بإحدهما على الأخرى. (الكريم, ٢٠٠٤, p. ١٦٨)

وقد شن إبراهيم مصطفى هجوما شديدا على النحاة كما فعل ابن مضاء، وكان ذلك بسبب اهتمام النحاة الزائد بنظرية العمل والعامل التي بنيت عليها من قبل أصول النحو واستقرت فواعده، وشغلت النحاة من لدن الخليل حتى يومنا هذا، وملاأت مئات الكتب النحوية خلافا، وفلسفة وجدالا بل تمثلت لها فلسفة خاصة أفردت بالتأليف.

٢) دراسات نقدية في النحو العربي: لعبد الرحمن أيوب

تأثر فيه إبراهيم مصطفى، ودفعه إلى ذلك غيرته على النحو العربي ومحاولة تجديده وتيسيره وقد لخص أيوب في هذا الكتاب أهم مواطن الداء في الدرس النحو ومن ثم حاول تقديم الحلول والعلاج ومن أهم مواطن الضعف في الدرس النحو في نظره ما يالي: (الكريم, ٢٠٠٤, p. ١٧٠)

أولا: قيام الفكر النحو لدي النحاة القدماء على الجزئية

ثانيا: النحو العربي لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبينها على أسس عقلية أخرى، ثم يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها.

ثالثا: خلط النحاة بين القبائل، ولم يميزوا بين اللهجات إلا قليلا.

٣) نحو التيسير: لأحمد عبد الستار الجواري.

يرى الجواري أن أي محاولة لتيسير النحو لا بد أن تقوم على الفهم الواعي لأساليب العربية والدراسة القديمة فيها والوقوف المدرك على حقائقها، والعمل الجاد لاستخراج لبابها، واستبعاد مظاهرها السطحية، وينبغي على الباحثين والدارسين أن يعودوا بالنحو إلى سابق طبيعته، وأن يستنبطوا أصوله الأولى التي تعيد

إليه مذاقه الخاص، وتصله بالأفهام حتى لا يبقى مدى غريبة تنبو عنها الأذواق. (الكريم, ٢٠٠٤)

وتحدث الجوّاري عن أسباب الشكوى من صعوبة الدرس النحوي وتعقيده وقتئذ من القرن العشرين، ويرى أن هذا الشعور يكون بسبب الدراسة الخاطئة، فهي اما ضحلة، واما دراسة تقليدية مرهقة مضنية، كما أن النحو العربي قد أصبح في صورته التي يدرسها المخصصون حفظا واستظهارا وتقليدا ومطابقة ويرى الجوّاري أن تيسير النحو يتحقق بعدة أمور أهمها: (الكريم, ٢٠٠٤, p. ١٧٣) أولاً: معرفة ما اختلط بالدرس النحوي من أمور غريبة بعيدة عن طبيعته ثم إبعادها عنه.

ثانياً: معرفة ما ينبغي أن يبقى، وما ينبغي أن يحذف وذلك لأن منها أجزاء وضعت لا تد حاة لغوية، وإنما لإستقصاء قاعدة منطقية، أو سد ذريعة أو رد اعتراض منصور، ومنها ما وضع لضرورة الشاذ من الكلام أو غريب منه. [٤] في النحو العربي نقد وتوجيه: لمهدي المخزومي.

وهي المحاولات التي تأثرا أيضا بما قدمه إبراهيم مصطفى من أفكار لتيسير النحو، ويرى المخزومي أن التيسير: عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها، واستيعابها، ولكن يكون التيسير وافيا بهذا، ولم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته أصولاً ومسائل.

وهاجم المخزومي نظرية العامل، فهناك من يرى أن كتابه هذا (محاولة لتخليص النحو العربي من نظرية العامل الفلسفية، وإقامة نظرية لغوية بديلة لتفسير العربية تفسير أفضل، وتيسير تعامها تيسراً أعظم. ويرى المخزومي أنه لا بد من التخلص من سيطرة المنهج الفلسفي على الدرس النحو، وطالب بإلغاء باب التنازع والاشتغال، والقول بإلغاء والتعليق، ثم دعا إلى إلغاء القياس الذي يقوم على العلل

الفلسفية ويبعد عن الواقع فالقياس (الذي ينبغي اتباعه في دراسة النحو، هو القائم أساس المشابهة ومحاكاة المسموع والمعروف من كلام العربي). (الكريم، ٢٠٠٤، pp. ١٧٥-١٧٦)

ويرى المخزومي أن الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية كلها موضوعات لغوية تهدف إلى غاية تطبيقية، لذلك يجب أن تتضافر الجهود إلى دراسة مستويات اللغة بكافة فروعها لكي يحدث الإصلاح الشامل للغة العربية، وبالنسبة لعلم النحو، فإنه يختص بدراسة الجملة ثم قدم المخزومي دراسة مطولة تفصيلية عن الفعل، ثم تحدث عما يسمى (أساليب التعبير) وفيه تحدث عن التوكيد وعالجه معالجة تتفق مع الدرس النحوي، واعتبره من الموضوعات التي حرم منها علم النحو طويلا، وتناول أيضا أسلوب النفي وضروبه وأدواته، كذلك الاستفهام وأسلوب الجواب، ثم تحدث عن الشرط، وعنده أن أسلوب الشرط جملة واحدة يعبر بها عن وحدة من الأفكار، وليست جملة الشرط جملتين إلا بالنظر العقلي، أما بالنظر اللغوي فعبارتا الشرط والجزاء جملة واحدة، ثم تناول النداء واختتم كتابه بحديث عن أدوات الوصل في اللغة العربية.

خاتمة البحث

بعد ما بحث الكاتب ما يتعلق بتاريخ نشأة النحو والدراسة عن تطوره وصل إلى الخلاصة التالية: أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من فكر وضع علم النحو في دفع خطر اللحن عن النص القرآني واللغة. وبعد أبي الأسود جاء تلاميذه وأكملوا طريقه. ثم أتى تلاميذهم ونهجوا نهج معلمهم، حتى نضج النحو على يد الخليل بن أحمد واضع أول كتاب نحوي وصل إلينا. وبهذا استطاع الخليل أن يقدم العربية نموذجا بنيويا

لوصف العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا. ثم جاء سيبويه بكتاب "الكتاب" وابن مضاء بكتاب "الرد على النحاة". وقد انتشر هذا العلم حتى قرن العشرين. وشهد الكثير من المحاولات التيسير على كافة المستويات وأذكر بعض الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك على النحو التالي: إحياء النحو: لأبراهيم مصطفى؛ دراسات نقدية في النحو العربي: لعبد الرحمن أيوب؛ نحو التيسير: لأحمد عبد الستار الجوارى؛ في النحو العربي نقد وتوجيه: لمهدي المخزومي.

المصادر والمراجع

- Luthfi, T. (2016). ١٢١-٩٨, (١) ٣, *نظرية العامل وتضافر القرائن عند تمام حسان*.
<https://doi.org/http://dx.doi.org/10.15408/a.v3i1.2911>
- Muhadjir, N. (2000). *Metode Penelitian Kualitatif Edisi IV*. Yogyakarta: Rake Sarasin.
- أبي بكر الزبيدي (n.d.). *طبقات النحويين واللغويين*. دار الفكر .
<https://books.google.co.id/books?id=kJhICwAAQBAJ>
- أميل بديع يعقوب ورميشال عاصي (n.d.). *المعجم المفصل في اللغة والأدب*. دار العلم للملايين.
- ابن خلكان (n.d.). *وافيات الأعيان*. دار المعارف.
- الأسعد, ع. ا. م. (١٩٩٢). *الوسيط في تاريخ النحو العربي*. دار الشواف.
- السيوطي (n.d.). *الأشباة والنظائر في النحو*. دار الكتب العلمية.
- الطنطاوي, م. (٢٠٠٠). *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*. مكتبة إحياء التراث الإسلامي.
- الكريم, ع. ا. أ. ج. (٢٠٠٤). *الدرس النحوي في القرن العشرين*. مكتبة الأدب.
- جني, ا. (١٩٥٢). *الخصائص*. دار الكتب المصرية.

تاريخ نشأة النحو... (Nicolas Habibi, Milki Aan, Neldi Harianto, Khairil Malik)

- زيدان, ج. (١٩٩٧). تاريخ آداب اللغة العربية. دار الفكر.
- شوقي, ض. (١٩٨٢). كتاب المدارس النحوية.
- ضيف, ش. (١٩٨٦). تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا. دار المعارف.
- عبد الراجحي. (n.d.). دروس في المذاهب النحوية. دار النهضة العربية.
- علامة, ط. (١٩٩٣). تطور النحو العربي في مدرسي البصرة والكوفة. دار الفكر اللبناني.
- فريجة, أ. (n.d.). نظريات في اللغة. دار الكتاب اللبناني.